

## تونس تنتخب موظفا برتبة رئيس!



المرشح أو ذاك عاجزون عن المخاطرة في توقعات في هذا الصدد. لن تتضح الأمور وينجلي غبار غموضها إلا حين تنتقل البلاد إلى الدورة الثانية من الانتخابات. استفاق الأميركيون على مفاجأة فوز دونالد ترامب. نام البريطانيون على فشل استفتاء "البريكست". تايجل فراج أحد أشهر الشخصيات التي روجت للـ"بريكست" أقر بالفشل في تلك الليلة، قبل أن توقعه نتائج الصباح على فوز لم يتوقعه. قد يستمر هذا الغموض حتى الساعات الأخيرة، لكن هل ستكون مفاجأة إذا ما فاز فلان على حساب فلان؟ لا يعرف مورو سراً انقلاب "قرطاج" على بن علي. ربما أن "الدولة العميقة" عملت على ذلك وما زالت تعمل على صناعة الحكم في البلاد. والحال أن أصحاب السبق يمكنون على إقناع الناس بعدم العزوف والمشاركة في عملية الانتخاب، لكن لسان حال تونس يقول إن موظفا ساميا سيخرج من صناديق الاقتراع ليكون رئيسا لا يشبه الكبار الذين مضوا.

الاسبق المنصف المرزوقي. وفي الحكايات أيضا أن اللقاء الذي جمع عبد الكريم الزبيدي، وزير الدفاع المستقيل والمرشح للرئاسة، مع الراحل قائد السبسي قبل أيام من وفاته، ترك انطباعا بأن الراحل أوحى للبورقبيين بأن الرجل وريث يمثل البورقبيبة أفضل تمثيل. ولأيام الفاصلة عن 15 سبتمبر حكايات أخرى. على أن كل ذلك لا يخفي أن تونس اليوم لا تملك ترجيحاً مضموناً لاسم رئيسها المقبل. أكثر من 7 ملايين ناخب مدعوون للاقتراع، ومدعوون بالمناسبة للكشف عن مدى الانقسام الداخلي التونسي لصناعة توافق حول شخص سيكون رئيسا لكنه لن يكون زعيماً للتونسيين. تعجز استطلاعات الرأي عن إعطاء توجيهات ثابتة أو استشراف ملامح لمن يمكن أن يكون رئيس تونس المقبل. ربما يعرف التونسيون من هم المرشحون الكبار من لائحة الـ26 مرشحا، لكن عقدة المخترطين في عالم السياسة في البلاد، حتى أولئك الناشطين لصالح هذا

لا يهم داخل الديمقراطية مدى الثقة بأصحاب البرامج الانتخابية. ما يهم هو الكيفية التي يتم بها تسويق المنتج وإقناع المستهلك بجدارته في نقل البلد من طور العلة إلى طور العلاج. ومن الآن وحتى تاريخ إجراء الانتخابات منتصف الشهر الحالي، فإن حكايات كثيرة قد ترش توابل على الأطباق وتخضب الحملة الانتخابية بدسم الحكايات. في الحكايات أن نبيل القروي، أحد رجال الأعمال المرشحين، اعتقل بعد أن استفاقت بـ"الصدفة" الأجهزة القضائية على انتهاكاته المالية الضرائية، وأن استنماها لتعظيم حظوظه رئيسا، وأن "العدل" هو في خدمة الحكم الحالي كما كان في خدمة الحكم السابق. وفي الحكايات أن حركة النهضة مرت بمخاض داخلي قبل أن ترشح بشق النفس عبدالفتاح مورو ليمثلها، وأن أصوات النهضويين قد تتوزع على مرشحين آخرين، منهم النهضوي السابق رئيس الوزراء السابق حمادي الجبالي وحليف النهضة القديم الرئيس

يكتشف التونسيون بان ساكن قصر قرطاج المقبل هو موظف برتبة رئيس. يبحث الناخبون هذه الأيام داخل لائحة المرشحين الـ26 عن شخصية تفيض بالكاريزما والتي يمكن أن تكون ببساطة بديلا عن رئيس راحل. لا زعامات ولا قيادات تاريخية ولا كبير يفرض حضوره. وفيما يتقدم المرشحون بسير ذاتية باردة ويوعود انتخابية فضفاضة، فإن التونسيين الذين يُضجرهم نَشاز الحملات الانتخابية هذه الأيام، قد يطربهم من جديد فن الطرب الذي يروج هذه المواسم في العالم. والطرب في العالم هو ذلك الذي أتى بدونالد ترامب رئيسا لبلاده، وذلك الذي "أخرج" بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وذلك الذي أنعش تيارات اليمين المتطرف في أوروبا والبرازيل وبلدان أخرى. الشعبية ملح الكون هذه الأيام، فلماذا لا تكون مادة نسيج يحيكه مرشحو الرئاسة في تونس لصناعة رئيس يطل من قرطاج عليهم خلال السنين المقبلة.

على أن خطاب الشعوبية الذي قد يدغدغ غرائز العامة قد لا يحظى كثيرا بنسب مضمونة من المصادقية في تونس. جاء ترامب من خارج دوائر السياسة في الولايات المتحدة، وروج للبريكست في بريطانيا تيارات وشخصيات لم ينخرط أغلبها في الحكم، فيما تنهل الشعوبية في العالم قوتها من كون من ربح بها على الأغلب هم من خارج قصور الحكم. بالمقابل فإن المرشحين الأقوياء في رئاسيات تونس هم ممن خبروا الحكم وجالوا في أروقته وسكنوا داخل قلاعه. إضافة إلى رئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد، يتبارى داخل الحلبة رؤساء حكومة سابقون وشخصيات تبوأت مناصب رسمية وشخصيات حزبية وأخرى من عالم المال والأعمال. سيكون يسيرا أن يُرد على من سبغ بمحاربة الفساد والاقتصاد من المقصرين وتقنية الإدارة من الترهل ونفخ الاقتصاد وترشيق التنمية بأسئلة بسيطة: ماذا فعلتم قبل ذلك حتى تُعدوا بفعل غير ذلك؟ ثم ماذا نثق بوعود في حكم قادم لم يتم الوفاء بها في حكم سابق؟

تعيش تجربتها وقد تجاوزت أسرار تلك الليلة في قصر قرطاج، إلا أن ما رصدته لاحقا في تونس من حزين خجول وأحيانا علني مجاهر به لعهد بن علي يشي أن أهل البلاد مازالوا يسعون للاهتداء إلى تونس الجديدة دون أن يلغوا تونس العتيقة. أعاد التونسيون عام 2014 حمل البورقبيبة في شخص الباجي قائد السبسي لرئاسة بلادهم. ففي الصدام الذي اندلع بين التيارات المدنية من جهة، والتيارات الإسلامية من جهة أخرى، كانت للتونسيين قولتهم الفصل في حمل ذلك الرجل لرعاية شؤون البلد. بدا أن الثقة تراجعت بكافة التيارات السياسية التي ارتجلها التحول الغامض، وكان لا بد من إعادة دفة الحل والربط، رغم ما يعانيه الرئيس من قيود دستورية، إلى البورقبيبة من جديد.

**يكتشف التونسيون بأن ساكن قصر قرطاج المقبل هو موظف برتبة رئيس. يبحث الناخبون هذه الأيام داخل لائحة المرشحين الـ26 عن شخصية تفيض بالكاريزما والتي يمكن أن تكون ببساطة بديلا عن رئيس راحل. لا زعامات ولا قيادات تاريخية ولا كبير يفرض حضوره**

رجل الباجي قائد السبسي في 25 يوليو الماضي. بدا أن تونس باتت بتخيمة الأب. مشى الناس في جنازة الراحل طواعية مودعين قطعة من تاريخهم. حاول البعض أن يتبرأ من ذلك الجرف العاطفي بالقول إن تونس تغيرت، وأن رحيل رئيس انتخبه الشعب تفصيل يتم تجاوزه وفق تونس الجديدة برئيس آخر ينتخبه هذا الشعب.



تحت تونس عن رأس الهرم في جسمها السياسي المستحدث منذ تحولات عام 2011. بدا أن رئاسة الراحل الباجي قائد السبسي أوحى للتونسيين بان للبلاد زعيما يسكن قصر قرطاج ويسهر متكئا على تجربته وحكته وطول خبرته لإدارة أمور البلاد بين قوى توالدت لترث، بين ليلة وضحاها، حكما أطاح به ما عرف بأنه "ثورة الياسمين".

كثيرون تعابشوا مع التغيير الذي أطاح بنظام الرئيس الأسبق زين الدين بن علي دون أن يعرفوا سر ذلك التحول الانقلابي الذي حصل بصمت وخرج من عتمة ليل لينفي حقبة ويباشر حقبة أخرى. التقيت قبل سنوات بعبدالفتاح مورو الرجل الثاني في حركة النهضة. كانت حركته حينها تسعى للهيمنة على مفاصل الحكم في تونس وتطلق خطابا منفتحاً، مقارنة بما راج من قبل تيارات إسلامية أصولية متطرفة، وتجهد لتقديم نفسها تيارا تونسيا قادرا على التعايش مع خصوصية هذا البلد المصهور ببورقبيبة بنوية من غير السهل إغفالها. كانت حركة النهضة في ذلك تستند كثيرا على مورو وخطابه، دون أي ثقة من قبل خصوم الإسلام السياسي في تونس بـ"إخوان تونس"، سواء في خطاب زعيمهم راشد الغنوشي، أو في براغماتية نائبه عبدالفتاح مورو. فاجاني الجرف بالقول "لا نعرف ماذا حصل في قصر قرطاج عشية مغادرة بن علي البلاد". كان الرجل يلمح في ذلك إلى أن ما أتى بتغييره السياسي إلى منابر الحكم في تونس ليس ثورة بالمعنى الذي لطالما رُوج له، خصوصا في صفوف الإسلام السياسي، بل ما يشبه "انقلاب قصر" قرر إخلاء تونس من رئيسها، وإعادة إنتاج سلطة تسعن هذه الأيام لوضع رئيس على قمة هرمها. صحيح أن هذا التغيير بات متقادما وأن تونس

## الليرة والإعمار والحل السياسي

**العرب**  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدباني  
كرم نعمة  
حزام خريف

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العقبوي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

ما تخسر من عائداتها من النفط والغاز التي كانت توفر لها نحو 10 مليارات دولار سنويا. كما تم بيع جزء مهم من عائدات المستقبل أيضا. ففي مقابل الدعم العسكري الذي تقدمه روسيا، فقد استولت على حقوق التنقيب والتصدير في حقول الغاز الضخمة قبالة السواحل السورية، فضلا عن بعض ملكية الموانئ الرئيسية للبلاد، التي كانت بدورها مصدرا مهما للعائدات، الرسمية وغير الرسمية. الليرة تنهار لكي تقول كل هذا، ولكنها تقول شيئين آخرين أيضا. الأول، إن إعادة الإعمار تتطلب تمويلا من جهات دولية تملك المال. ولكن هذه الجهات تريد ضمانات. وترى أن النظام، بطبيعته الرأهية، لا يوفر هذه الضمانات. بمعنى أنه أسوأ من أن يمكن الاستثمار فيه. والثاني، إن الحل السياسي هو المخرج الوحيد لمازق انهيار القيمة والاعتبار. فيوجود حل مقبول، يزيل كراهة هذا النظام، ويعدل من مسالكه الوحشية، فقد يفتح الباب أمام تمويلات مشروطة بانتخابات حرة وعودة اللاجئين، وضمانات تكفل الحريات وحقوق الإنسان. بطريقة أو أخرى، يبدو كل شيء مغلقا الآن، برقبة هذا الحل السياسي، الذي كائنا ما كانت طبيعته، فإنه يجب أن يعني تغيير أسعار النظام في بورصة القابلية للحياة. لماذا خاض النظام في سوريا كل تلك الحرب؟ ولماذا اندفع فيها كل ذلك الاندفاع؟ لقد فعل كل ذلك من أجل أن يتحاشى هذا الحل السياسي بالذات. اليوم، وبعد أن جلس، كالبومة، على تلة الخراب، فإنه عاد ليدور الدورة كلها، ليجد نفسه أمام حقيقة لا يمكن قصفها، هي أنه نظام وصلت قيمته إلى قاع القاع، وبورصة وجوده تنهار.

بدلالة انهيار قيمة الليرة، فإنها تواجه سؤالا أكثر خطورة: من يمكنه أن يعيد إعمار البلاد؟ التقديرات تشير إلى أن سوريا بحاجة إلى 400 مليار دولار لكي تعيد بناء ما تهدم. ولا أحد من حلفاء النظام يملك هذا المال. هم شاركوا في أعمال الهدم، ولكنهم لا يملكون مالا للإعمار. والعملة إذا كانت تنهار لأن الإيرانيين لم يعد لديهم ما يقدموه، فالأنتم لا يجدون مالا لإعمار خرابهم الخاص. هم يعوِّضون ما أنفقوه في سوريا بالاستيلاء على مبان عامة في دمشق وبعض المدن الكبرى، كما يستولون على أراض ومساحات في بلدات مختلفة من منها أهلها، ولكن ذلك لا يوفر ضمانات كافية لأحد، وذلك بما أن أسعار النظام تنهار في بورصة

مؤشر يذهب إلى أبعد من الدلائل الاقتصادية المألوفة، ليشير مثلا إلى مدى شعبية رئيس، أو ما إذا كانت سياساته متوازنة، أو ما إذا كان حزبه الحاكم جديرا بالثقة، أو ما إذا كان داعموه يملكون مالا لمواصلة دعمه، أو ما إذا كان هو نفسه جزءا من البورصة، فتتلاعب به الضغوط والأقدار. كل هذه المؤشرات يمكنها أن تقول شيئا واضحا لكل الناس، من دون أن يكون بوسع الدبابات والمدافع أن تدحض القول أو أن تقول فيه قولا آخر. والنظام الذي ظل يكتم أفواه الناس ويحاكمهم على كل كلمة يقولونها، وجد أخيرا من يكتمه. فإذا كانت سياسات الدمار الشامل لم تنفع لحفظ الاقتصاد من الخراب،

جالت الدبابات في كل شوارع سوريا، وحلقت الطائرات طويلا، بحثا عن سبيل لكصف انهيار قيمة الليرة السورية، إلا أنها لم تجد ما تقصفه. فالدولار الذي كان سعره يبلغ 45 ليرة قبل اندلاع الأزمة، تخطى 650 ليرة، ليكشف هذا الانهيار الصاروخي عن تحد أكبر من أن يستطيع النظام السوري، بكل ما لديه من قوات وميليشيات، مواجهته بالمداغ.



على كل مساوئها، فثمة شيء واحد مفيد في الرأسمالية. فسعر العملة يمكنه أن يكون مؤشرا لأكثر من معناه المباشر. حتى إنه

